اجتهادات
إنذارُ مُبكر جدًا

تُعيد الدماء التى تفيضُ فى شوارع قطاع غزة، والأشلاء التى تتناثر فيه كل يوم، الوعى إلى بعض من لم يعرفوا حقيقة الهمج الذين يقتلون النساء والأطفال ويمنعون كل سبل الحياة عمن ينتظرون أدوارهم فى القتل.

كان هذا الوعى، الذى غاب لدى بعض المثقفين، حاضرًا بقوةٍ لدى من أدركوا خطر التطبيع الثقافى، والشعبى عمومًا، مع من لا يوثق فى عهودهم، وقدموا ما يبدو الآن أنه كان إنذارًا مبكرًا جدًا عندما أسسوا لجنة الدفاع عن الثقافة القومية فى أبريل 1979.

تَنَادى جمعُ كبير من المثقفين المصريين الواعين بأن المشروع الصهيونى لا يقتصرُ على فلسطين لاتخاذ موقف واضح، والسعى إلى نشر الوعى لكى لا يُنسى أو يُستهان بالخطر المستمر. كان بينهم مثقفون من مختلف الأجيال فى ذلك الوقت من جيل الأربعينيات إلى جيل السبعينيات خاضوا غمار معركة الوعى، وتصدوا لحملةٍ صهيونية ظن من شنوها أنه ليس فى مصر العريقة من يقفون ضد محاولاتهم تغيير

مفاهيمٍ ومعتقداتٍ استقرت فى ضمائر أبنائها لأجيالٍ مُتوالية على اختلاف اتجاهاتهم ومواقفهم0 حاولوا التشكيك فى هوية مصر وانتمائها العربى، وسعوا إلى إعادة صوغ أساس الصراع وعوامله التى يشهدُ عليها التاريخ، وحصره فيما أُطلق عليه حاجزُ نفسى تسهُل إزالته. وكأن كل الاحتلال والتشريد وقتل الأسرى ليس إلا وهمًا يخلق صورًا ذهنيةً يمكن إحلال أخرى محلها.

أسهمت تلك الحركة الثقافية الرائدة فى المحافظة على الوعى الشعبى بطبيعة الصراع، وساعد انضمام القوى الحية فى المجتمع من نقابات وأحزاب ناشئة ومُنظمات مدنية فى كسب المعارك التى خاضها من أدركوا الخطر مبكرًا 0 فلم ينزلق إلى التطبيع الثقافى سوى عدد ضئيل جدًا بينهم من رحلوا ولا تجوز عليهم إلا الرحمة، ومن بدأوا فى إدراك حقيقة من توسموا فيها خيرًا، فيما لايزال الوعىُ بحقيقتهم بعيدًا عن آخرين .

وحين يشتدُ شعورنا بالألم ونحن نتابع المجازر فى غزة، لابد أن نذكر بالإجلال كل من بادروا إلى تأسيس لجنة الدفاع عن الثقافة القومية، ووضعوا الأساس لمواجهة التطبيع، وأن ندعو من قلوبنا لكُثُرٍ منهم، فسلامُ لأرواحهم.